القسم السابع

الخـــــلافة

* الخلافـــة

والدراسة النفسية للخـلافة في إطار هذا الكتاب – تأتى امتداداً مباشراً لقضيتين منه :

ـ الدعـوة.

ـ علم النفس الاجتماعي و الأممي

و باعتبار أن الخلافة هي الامتداد بالواقع الاجتماعي الناشئ عن الدعوة و هي الحاكمية الأممية أو الحكم الإسلامي للأمم.

وارتباط قضية الخلافة بقضية الحكم والأممية يتحدد منهجياً بعملية نقل السلطة من الأمة اليهودية إلى الأمة الإسلامية.

أو ما يمكن تعريفه تحت عنوان : " الولاية الشرعية للبشر ".

إن قضية الخلافة هي القضية الإنسانية الأولى لأنها ضبط الوجود الإنساني وفقاً لشرع الله سبحانه.

فإننا إذ نحكم قوماً معينين في مكان معين لإنشاء حكم الإسلام فإن ذلك قد يكون سهلاً إذا كان هؤلاء الناس يؤمنون بذلك ويرغبون فيه.

أما إقامة الخلافة التي تعني جمع كل البشر تحت نظام واحد.فهو الأمر الذي يتطلب الدراسة النفسية الدقيقة الوافية .

لأنها الولاية على كل الأجناس .... كل القارات ... الذين يؤمنون، والذين لا يؤمنون، وبصورة إنسانية راقية.. يشعر فيها كل إنسان بأمنه وحقه ومكانته. رغم اختلاف الطبائع الفردية والجماعية والأممية.

ولان هذه الولاية تقتضي اختيار الجماعة التي تقوم على عملية إنشاء الولاية بدقة نفسية متناهية.

وبذلك تصبح عملية إنشاء الولاية الشرعية على البشر هي أوسع دراسة نفسية يتضمنها الكتاب، وخصوصاً في مرحلة نقل الولاية في مدتها الأولى من اليهود إلى المسلمين.
مما يعني تحديد الصفات الأساسية المانعة من القيام بالمهمة (اليهود). وتحديد الصفات الإنسانية الموجبة لصلاحية القيام بهذه المهمة (المسلمين).
ويناقش القرآن قضية الولاية من خلال عدة سور :
ـ سورة البقرة :
وفي سورة البقرة تبدأ مناقشة قضية الولاية الشرعية من خلال مفهوم التثبيت اليهودي على أفضليتهم على العالمين .
فالآيات تثبت ابتداءً هذه الحقيقة : أن بني إسرائيل كانوا في زمنهم أفضل العالمين، ولكن كيف تعامل اليهود مع هذا العطاء ؟
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ . (البقرة : 47).
ثم تركز الآيات التي بعد هذه الآية على :
النجاة من آل فرعون .
نِعمة .
وفرق البحر وإغراق آل فرعون.
نِعمة .
ثم اتخاذ العجل.
ذنب .
والعفو عن ذلك. نِعمة .
ثم تذكر الآيات بعد ذلك :
طلب بني إسرائيل رؤية الله جهرة .
ذنب .

ورزقهم المن والسلوى.
نِعمة .
وانفجار الحجر اثنا عشر عيناً.
نِعمة .
والاعتداء في السبت .
ذنب .
ثم المراوغة في ذبح البقرة .
ذنب .
ثم تقرر الآيات مرة أخرى : يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ* واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولاهم ينصرون . (البقرة : 122:123).
وتتوالى الآيات الدائرة بين الذنب والنعمة، ثم تأتى الآية 124 من سورة البقرة متضمنة عهد الله بالإمامة لإبراهيم وذريته.
وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم العلاقة بين النعم والذنب من ناحية وعهد الله من ناحية أخرى وذلك في حديث سيد الاستغفار عن شدّاد بن أوس رضي اللّه عنه، عن النبيّ صلى اللّه عليه وسلم قال: [سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إِلهَ إِلاَّ أنْتَ خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأبُوءُ بِذَنبي، فاغْفِرْ لي فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ ما صَنَعْتُ. إذا قال ذلك حين يُمسي فمات دخل الجنة، أو كان من أهل الجنة، وإذا قال حين يُصبح فمات من يومه مثله][1]
معنى أبوء: أقرُّ وأعترف.

---

(1) [صحيح] أخرجه البخاري في (الدعوات / بـ أفضل الاستغفار / ح 6306) مـن حـديث شداد بن أوس .

لأن الإقرار بالنعم دليل على الإيمان بالربوبية لأن الربوبية بالنعم ، والاعتراف بالذنب دليل على الإيمان بالألوهية لأن الألوهية يكون مقتضاها في واقع العبد هو الوقوف على قاعدة الخضوع وقبول التكليف من الله ، والخضوع وقبول التكليف هو الذي ينشئ الإحساس بالذنب عندما يخالف العبد الأحكام والتكاليف الشرعية.

من اجل ذلك كانت آيات سورة البقرة دائرة بين النعم والذنوب في بني إسرائيل حتى انتهت عند آية العهد.

ولكن مناقشة الآيات للنعم والذنوب في بني إسرائيل ارتكزت على الآثار المترتبة على تجربة الاستضعاف التي عاشها بني إسرائيل في حكم فرعون.

فلما كانت ولايتهم في الاستضعاف لا تتجاوز حدود الضرورات الحياتية اليومية.

كان تعامل القرآن معهم على هذا الأساس.

فشغلت مسألة الأكل مواضع كثيرة من آيات التعامل.. وكان ذلك أهم النعم المذكورة.

- وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (البقرة : 57).

- وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شئتمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (البقرة : 58).

- وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ

رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (البقرة : 60).
- وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحد فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (البقرة : 61).

ولما كانت حياتهم في الاستضعاف بلا إرادة اجتماعية

فقد ظلوا فاقدين للإرادة الاجتماعية كنتيجة فقدها في فترة الاستضعاف

حيث كانوا عاجزين عن الوفاء بالعهود والمواثيق باعتبار أن هذا الوفاء إرادة اجتماعية؛ وكان هذا أخطر الذنوب المذكورة.

- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ . (البقرة : 83).
- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ . (البقرة : 84). ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إلى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . (البقرة : 85).
ثم جاءت آية الولاية على الناس _ و التي يمكن أن نسميها آية العهد_ في قول الله سبحانه:
وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (البقرة : 124).
فأوضحت آية العهد أن الإمامة على الناس كانت لإبراهيم في الابتداء.
وذلك بعد أن أتم إبراهيم الكلمات التي ابتلاه الله بها.
وكان أهم هذه الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم.. هو الختان .
حيث جاء في تفسير هذه الكلمات قول ابن كثير :
" وقد اختلف في تعيين الكلمات التي اختبر اللّه بها إبراهيم الخليل عليه السلام،
- **عن ابن عباس في ذلك روايات فقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ابن عباس ابتلاه الله بالمناسك [1]**

---

(1) قال ابن كثير في " تفسير القرآن العظيم " (1 / 144 – 145) : " وَقَدْ اُخْتُلِفَ فِي تَعْيِين الْكَلِمَات الَّتِي اِخْتَبَرَ اللَّه بِهَا إِبْرَاهِيم الْخَلِيل عَلَيْهِ السَّلَام فَرُوِيَ عَنْ اِبْن عَبَّاس فِي ذَلِكَ رِوَايَات :
فَقَالَ عَبْد الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَر عَنْ قَتَادَة قَالَ اِبْن عَبَّاس : [اِبْتَلَاهُ اللَّه بِالْمَنَاسِكِ] وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو إِسْحَاق السَّبِيعِيّ عَنْ التَّمِيمِيّ عَنْ اِبْن عَبَّاس وَقَالَ عَبْد الرَّزَّاق أَيْضًا أَخْبَرَنَا مَعْمَر عَنْ اِبْن طَاوُوس عَنْ أَبِيهِ عَنْ اِبْن عَبَّاس " وَإِذَا اِبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ " قَالَ : [اِبْتَلَاهُ بِالطَّهَارَةِ خَمْس فِي الرَّأْس وَخَمْس فِي الْجَسَد فِي الرَّأْس قَصّ الشَّارِب وَالْمَضْمَضَة وَالِاسْتِنْشَاق وَالسِّوَاك وَفَرْق الرَّأْس وَفِي الْجَسَد تَقْلِيم الْأَظْفَار وَحَلْق الْعَانَة وَالْخِتَان وَنَتْف الْإِبْط وَغَسْل أَثَر الْغَائِط وَالْبَوْل بِالْمَاءِ] .
قَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم : وَرُوِيَ عَنْ سَعِيد بْن الْمُسَيِّب وَمُجَاهِد وَالشَّعْبِيّ وَالنَّخَعِيّ وَأَبِي صَالِح وَأَبِي الْجَلْد نَحْو ذَلِكَ " قُلْت " وَقَرِيب مِنْ هَذَا مَا ثَبَتَ فِي صَحِيح مُسْلِم عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " عَشْر مِنْ الْفِطْرَة قَصّ الشَّارِب وَإِعْفَاء اللِّحْيَة وَالسِّوَاك وَاسْتِنْشَاق الْمَاء وَقَصّ الْأَظْفَار وَغَسْل الْبَرَاجِم وَنَتْف الْإِبْط وَحَلْق الْعَانَة وَانْتِقَاص الْمَاء " قَالَ مُصْعَب : وَنَسِيت الْعَاشِرَة إِلَّا أَنْ تَكُون الْمَضْمَضَة . قَالَ وَكِيع : اِنْتِقَاص الْمَاء يَعْنِي الِاسْتِنْجَاء .
وَفِي الصَّحِيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " الْفِطْرَة خَمْسٌ الْخِتَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ وَقَصُّ الشَّارِب وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَار وَنَتْفُ الْإِبْط " وَلَفْظه لِمُسْلِمٍ .

- عن ابن عباس وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وفي الجسد تقليم الأظفار وحلق العانة والختان ونتف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء.[1]
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ الْفِطْرَةُ خَمْسٌ الِاخْتِتَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَنَتْفُ الْإِبِطِ ".[2]

ولكن مفهوم الابتلاء ينطبق أول ما ينطبق بالنسبة لإبراهيم على الختان .

وَقَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم : أَنْبَأَنَا يُونُس بْن عَبْد الْأَعْلَى قِرَاءَة أَخْبَرَنَا اِبْن وَهْب أَخْبَرَنَا اِبْن لَهِيعَة عَنْ اِبْن هُبَيْرَة عَنْ اِبْن حَنَش بْن عَبْد اللَّه الصَّنْعَانِيّ عَنْ اِبْن عَبَّاس أَنَّهُ كَانَ يَقُول فِي تَفْسِير هَذِهِ الْآيَة" وَإِذْ اِبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَهُنَّ" قَالَ : [عَشْرٌ سِتٌّ فِي الْإِنْسَان وَأَرْبَعٌ فِي الْمَشَاعِر . فَأَمَّا الَّتِي فِي الْإِنْسَان حَلْق الْعَانَة وَنَتْف الْإِبْط وَالْخِتَان وَكَانَ اِبْن هُبَيْرَة يَقُول : هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَة وَاحِدَة . وَتَقْلِيم الْأَظْفَار وَقَصّ الشَّارِب وَالسِّوَاك وَغُسْل يَوْم الْجُمُعَة وَالْأَرْبَعَة الَّتِي فِي الْمَشَاعِر الطَّوَاف وَالسَّعْي بَيْن الصَّفَا وَالْمَرْوَة وَرَمْي الْجِمَار وَالْإِفَاضَة] .
وَقَالَ دَاوُد بْن أَبِي هِنْد عَنْ عِكْرِمَة عَنْ اِبْن عَبَّاس أَنَّهُ قَالَ : [مَا اُبْتُلِيَ بِهَذَا الدِّين أَحَد فَقَامَ بِهِ كُلّه إِلَّا إِبْرَاهِيم قَالَ اللَّه تَعَالَى " وَإِذْ اِبْتَلَى إِبْرَاهِيم رَبّه بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَهُنَّ " قُلْت لَهُ : وَمَا الْكَلِمَات الَّتِي اِبْتَلَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ بِهِنَّ فَأَتَمَهُنَّ ؟ قَالَ : الْإِسْلَام ثَلَاثُونَ سَهْمًا مِنْهَا عَشْر آيَات فِي بَرَاءَة" التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ " إِلَى آخِر الْآيَة وَعَشْر آيَات فِي أَوَّل سُورَة " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ " وَ " سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ " وَعَشْر آيَات فِي الْأَحْزَاب " إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَات " إِلَى آخِر الْآيَة فَأَتَمَهُنَّ كُلّهنَّ فَكُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَة قَالَ اللَّه " وَإِبْرَاهِيم الَّذِي وَفَّى " هَكَذَا رَوَاهُ الْحَاكِم وَأَبُو جَعْفَر بْن جَرِير وَأَبُو مُحَمَّد بْن أَبِي حَاتِم بِأَسَانِيدِهِمْ إِلَى دَاوُد بْن أَبِي هِنْد بِهِ وَهَذَا لَفْظ اِبْن أَبِي حَاتِم .
وَقَالَ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ مُحَمَّد بْن أَبِي مُحَمَّد عَنْ سَعِيد أَوْ عِكْرِمَة عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ : [الْكَلِمَات الَّتِي اِبْتَلَى اللَّهُ بِهِنَّ إِبْرَاهِيم فَأَتَمَهُنَّ فِرَاقُ قَوْمه فِي اللَّه حِين أُمِرَ بِمُفَارَقَتِهِمْ وَمُحَاجَّته نُمْرُود فِي اللَّه حِين وَقَفَهُ عَلَى مَا وَقَفَهُ عَلَيْهِ مِنْ خَطَر الْأَمْر الَّذِي فِيهِ خِلَافه وَصَبْره عَلَى قَذْفه إِيَّاهُ فِي النَّار لِيُحَرِّقُوهُ فِي اللَّه عَلَى هَوْل ذَلِكَ مِنْ أَمْرهمْ وَالْهِجْرَة بَعْد ذَلِكَ مِنْ وَطَنه وَبَلَاده فِي اللَّه حِين أَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ عَنْهُمْ وَمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ الضِّيَافَة وَالصَّبْر عَلَيْهَا بِنَفْسِهِ وَمَاله وَمَا اُبْتُلِيَ بِهِ مِنْ ذَبْح اِبْنه حِينَ أَمَرَهُ بِذَبْحِهِ فَلَمَّا مَضَى عَلَى ذَلِكَ كُلّه وَأَخْلَصَهُ لِلْبَلَاءِ قَالَ اللَّه لَهُ " أَسْلَمَ قَالَ أَسْلَمْت لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" عَلَى مَا كَانَ مِنْ خِلَاف النَّاس وَفِرَاقهمْ] .اهـ .

(1) وقد تقدم في الذي قبله [صحيح] .

(2) أخرجه البخاري في (اللباس / بـ تقليم الأظافر / ح 5891) ، ومسلم [متفق عليه] في (الطهارة / بـ خصال الفطرة / ح 257) من حديث أبي هريرة .

لأن الختان كان أمراً لإبراهيم وهو في سن الثمانين من عمره وختن نفسه في هذا السن بقدوم من حديد ...
فانطبق مفهوم البلاء على الختان بصفة خاصة، كما قال سبحانه وتعالى : وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (البقرة :124). لأن بقية الكلمات لم تكن بنفس صفة الختان والبلاء به. مثل قص الأظافر والإبط والعانة..
ومن هنا جاء قول القرطبي في تفسير قول الله تعالى :[1] صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (البقرة : 138).
(إن الصبغة الختان، اختتن إبراهيم فجرت الصبغة على الختان لصبغهم الغلمان في الماء، قاله الفراء).
ولكن الصفة الجامعة للكلمات نستطيع أن نقول فيها أنها الصفات المتعلقة بصورة مباشرة بالعلاقة الزوجية والمساعدة على إتمام معاشرة زوجية صحيحة..
ليكون الختان هو ضبط الشهوة حتى لا تتجاوز حد الضرورة.. فتتحول إلى غاية في ذاتها.
وتعامل إبراهيم الخليل مع نفسه في الختان يؤكد حدود الضرورة كسياج.
فيختتن وهو في سن الثمانين وبقدوم من حديد!
فتشعر بالضرورة في كل عناصر الحديث الذي أخبر به النبي :
السن – المكان وحساسيته – والأسلوب – ولأداة.
والامتداد بالذرية هو واقع الإمامة.. لأن الله لما جعل إبراهيم إماماً بعد إتمام الكلمات سأل

---

(1) قال القرطبي (2 / 52) : وَقِيلَ : إِنَّ الصِّبْغَة الْخِتَان , أُخْتُتِنَ إِبْرَاهِيم فَجَرَتْ الصِّبْغَة عَلَى الْخِتَان لِصَبْغِهِمْ الْغِلْمَان فِي الْمَاء , قَالَهُ الْفَرَّاء اهـ .

إبراهيم الإمامة لذريته. فكتب الله الإمامة لذريته باستثناء الظالمين منهم : .. قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (البقرة : 124) .

وبذلك أصبحت المعاشرة الزوجية الصحيحة باعتبارها بداية طبيعية للذرية - أصبحت هذه المعاشرة - بداية طبيعية للإمامة ..

وقد جاءت العلاقة بين الزواج والإمامة مباشرة .

في تفسير قول الله عز وجل : رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (الفرقان:74) .. يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم وذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له و قال ابن عباس : " يعنون من يعمل لله بالطاعة فتقر بهم أعيننا في الدنيا والآخرة .[1]

وقال عكرمة : " لم يريدوا بذلك صباحه ولا جمالا ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين " [2]

وقال الحسن البصري – وقد سئل عن هذه الآية – : " أن يُري الله العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حميمة طاعة الله لا والله لا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولدا أو ولد ولد أو أخا أو حميما مطيعا لله عز وجل " [3]

و باعتبار ثبات العلاقة بين الزواج و الإمامة في الدين فإن الشيطان استهدف هذه العلاقة فنجده و هو يحارب سلطة سليمان و خلافته يحاول في نفس الوقت هدم العلاقة الزوجية و تدميرها على أساس أن هدم الحكم الإسلامي و العلاقة الزوجية هدفاً واحداً و كان ذلك هو مضمون قول الله سبحانه و تعالى: وَاتَّبَعُوا مَا

---

(1) انظر " تفسير القرآن العظيم " (3 / 109) .

(2) الموضع السابق .

(3) الموضع السابق .

تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحد حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحد إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (البقرة : 102).

الزواج والذرية والإمامة في الدين ..

و بذلك تحقق بالزواج و الذرية مقتضيات الإمامة في الذين :

1- **فتتحقق الرجولة .. بالقوامة .**
2- **و تتحقق القيادة .. بالأبوة .**
3- **و يتحقق الصبر .. بالتربية .**
4- **و يتحقق اليقين .. بالاطمئنان .**

و لكن هناك علاقة تفصيلية بين الزواج والإمامة ذات طبيعة نفسية إذ كان إحساس الغيرة والدفاع عن العرض هو الإمكانية الأولى لحماية الدعوة ، و لذلك نشأ الولاء للجماعة ارتكازاً على طبيعة الغيرة والدفاع عن العرض؛ ولهذا كان نص البيعة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنصار هو قوله: (أن تحموني مما تحمون منه نساءكم وأموالكم ...)[1] وتبقى طبيعة الغيرة الإنسانية على العرض طاقة مستمرة لحماية الدعوة حتى تصبح الغيرة على الدين قرينة الغيرة على العرض،

---

(1) أخرجه أحمد في " مسنده " (20 / 270) ، والحاكم في " المستدرك [حسن لغيره] " (2 / 624) وصححه ووافقه الذهبي ، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (3 / 175) : " هذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه " ، وحسن الحافظ إسناده كما في " الفتح " (15 / 75) ، وقال عنه الألباني في " حاشية فقه السيرة " للغزالي صـ 157 : " وفيه علة : وهي عنعنة أبي الزبير وكان مدلساً ، وليس من رواية الليث بن سعد عنه فلعل تصحيحه أو تحسينه لشواهده . اهـ ، وأصله في الصحيحين ، والله أعلم .

ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ).[2]

كما أن العلاقة الزوجية تغرس في نفس الإنسان صفة أخلاقية مهمة تعتبر الأساس الأول في الالتزام بالجماعة المسلمة، وتلك الصفة هي الارتفاع بمستوى الالتزام بالجماعة فوق مستوى الانفعال النفسي، وذلك لأن العلاقة الزوجية هي التي تحقق في الطبيعة الإنسانية صفة الاتزان السلوكي؛ لأن ثبات العلاقة الزوجية دون التأثر بالانفعالات النفسية قاعدة قرآنية، إذ يقول الله _ عز وجل _: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً) .

و يقول الإمام ابن القيم في قوله _ تعالى _ : كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ وقوله عز وجل : وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً فالآية الأولى في الجهاد الذي هو كمال القوة الغضبية ، و الثانية في النكاح الذي هو كمال القوة الشهوانية، فالعبد يكره مواجهة عدوه بقوته خشية على نفسه منه، وهذا المكروه خير له

---

(2) أخرجه البخاري في (الإيمان / بـ فضل من استبرأ لدينه / ح 52) ، [متفق عليه] ومسلم في (المساقاة / بـ أخذ الحلال وترك الشبهات / ح 1599) من حديث النعمان بن بشير .

في معاشه ومعادة، وكذلك يكره المرأة لوصف من أوصافها، وله في إمساكها خير كثير لا يعرفه، ويحب المرأة لوصف من أوصافها، وله في إمساكها شر كثير لا يعرفه، فالإنسان كما وصفه به خالقه (ظلوم جهول) فلا ينبغي أن يجعل المعيار على ما يضره وينفعه ميله وحبه ونفرته وبغضه، بل المعيار على ذلك ما اختاره له بأمره ونهيه".

وهذا هو المطلوب في علاقة الرجل بالجماعة؛ إذ أن الالتزام بالجماعة المسلمة لن يكون صحيحاً إلا إذا ارتفع فوق الظروف النفسية، ومن هنا كانت البيعة على السمع والطاعة و العسر واليسر والمنشط والمكره كما قال الصحابة فيما يرويه البخاري و غيره عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ؛ قَالَ: " بايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَالأَثَرَةِ عَلَيْنَا. وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ. وَأَنْ نَقُولَ الْحَقَّ حَيْثُمَا كُنَّا. لاَ نَخَافُ فِي الله لومه لائم "[1]

ويفسر العلاقة بينها قصة بناء الكعبة وفيها ـ آية العهد و بناء الكعبة و العلاقة الزوجية .

فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ فَشَكَتْ إِلَيْهِ قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا فَقَالَ هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ نَعَمْ جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا

---

(1) أخرجه البخاري في (الأحكام / بـ كيف يبايع الإمام الناس / ح 7199) ، [متفق عليه] ومسلم في (الإمارة / بـ وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها / ح 1709) من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : [بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ] .

وَكَذَا فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ قَالَ فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ قَالَ ذَاكِ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا قَالَ كَيْفَ أَنْتُمْ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ مَا طَعَامُكُمْ قَالَتْ اللَّحْمُ قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ قَالَتْ الْمَاءُ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ قَالَ فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ نَعَمْ أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ قَالَ فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ قَالَ ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ قَالَ فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ قَالَ وَتُعِينُنِي قَالَ وَأُعِينُكَ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي

وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ قَالَ فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[1] إلي آخر آيه العهد
لقد رفع إبراهيم بهذا الموقف قاعدة هامة للبيت المسلم قبل رفعه هو وإسماعيل القواعد من البيت الحرام .
وهي أن تكون الزوجة قرة عين للزوج حتى يكون للمتقين إمامًا ..
ولذلك كان لا بد من هذه القاعدة قبل أن يأخذ إبراهيم عهد الاستخلاف لنفسه وذريته ..
ومن موقف بناء البيت تتقرر الولاية للرسول عليه الصلاة والسلام حيث كان الدعاء عند رفع البيت : " رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ " .
ولتتحقق الولاية على البشر بداية بفتح مكة ..
ومن هنا تحدد في فتح مكة أعظم مواثيق العلاقة الزوجية و وذلك في خطبة الوداع .. حيث قال صلى الله عليه وسلم : " أما بعد : أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن ، فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف .واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإني قد بلغت "[1]

---

(1) أخرجه البخاري في (أحاديث الأنبياء / بـ قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم [صحيح] خليلاً / ح 3364) من حديث ابن عباس .
(1) أخرجه مسلم في (الحج / بـ حجة النبي صلى الله عليه وسلم / ح 1218) [صحيح] من حديث جابر ، وانظر تفصيل ألفاظه وطرقه في " رسالة الحج " للشيخ الألباني رحمه الله تعالى .

ـ سورة الأعراف :
تبين من سورة البقرة أن أساس التعامل القرآني مع بني إسرائيل هو اعتبارهم أمة ذات وحدة نفسية واحدة حتى بلغ التعامل حد مخاطبة بني إسرائيل الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم باعتبارهم امتداد واحد متجانس مع الذين كانوا في عهد موسى عليه الصلاة و السلام بأنهم كلما كانوا في حالة خروج على عهد الله عادوا إلى أخلاقيات فترة الاستضعاف عند فرعون والتمرد على موسى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ 83 وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ 84 ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ 85) (سورة البقرة)
وكان اخطر مثال لهذا التعامل هو الربط بين نزع الولاية عنهم في عهد رسول الله بسبب عبادتهم للعجل في عهد موسى.
وهذا المعنى الذي أوضحته وأثبتته سورة الأعراف.
إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ . (الأعراف : 152).

فالغضب والذلة في الحياة الدنيا لا يتفقان مع استحقاق الولاية الشرعية على البشر.
لان الولاية و الخلافة رضى من الله سبحانه وعزه للبشر
وأراد موسى لقاء ربه لإعلان التوبة العامة لبني إسرائيل. فاختار نيابة عنهم سبعين رجلاً جعل الله سبحانه الجبل يرجف بهم كعلامة على أن الذنب أكبر من محاولة التوبة. ولكن الله سبحانه قَبِلَ دعاء موسى : وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شئتَ أهلكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ . (الأعراف : 155).
ولكن قبول الله لتوبة بني إسرائيل تضمن الأمر الإلهي بنقل الولاية.
(وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ 156)

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ 157)

ولذلك يأتي الإعلان على لسان رسول الله بنقل الولاية إلى أمته بصفته النبي الأمي
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ الأعراف : 158) .
وكما تبين من سورة الأعراف أن عبادة العجل كانت سبباً لنزع الولاية من بني إسرائيل بينت الآيات أيضاً أن انتقال الولاية إلى أمة النبي صلى الله عليه وسلم كان باعتبار الأمية وهي ما بينته آيات السورة. ولذلك تأتي سورة الإسراء لتناقش عملية نقل الولاية. باعتبار هذه الصفة.

سورة الإسراء :
فأثبتت هذه السورة في البداية الولاية لبني إسرائيل ... بعد إهلاك فرعون
وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيْلَ اسْكُنُوْا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيْفَاً) وتقف الآيات ببني إسرائيل عند مرحلة ما بعد انشقاق البحر.
التي جاءت من قول الله عز وجل (فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً . وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا 104) (الإسراء 103.104)
ثم جاءت الآيات التي تثبت انتقال ولاية بنى إسرائيل إلي أمه النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ولذلك قال بعدها : (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً). (الإسراء : 106) .
وبذلك اجتمعت سورة الأعراف والإسراء على إثبات انتقال الولاية من بنى إسرائيل إلي أمه محمد صلى الله عليه وسلم .....
ولما كانت سوره الأعراف قد أثبتت نقل الولاية إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته النبي الأمي في الآية كما جاء في آيات السورة وكانت سورة الإسراء إثبات مماثل ...
كانت حادثه الإسراء تشكل إجراءا فعليا لعمليه نقل الولاية إلي أمه الأميين
ولذلك كانت طبيعة هذا الأجراء مناسبة للصفة الأساسية لامه الولاية الجديدة ..
فكانت الأمية طبيعة هذه الليلة ابتداءً بتجهيز النبي بشق صدره وملئه حكمة وإيماناً حيث كانت عملية شق الصدر تحديداً المعاني بصورة حسية وهو جوهر مفهوم الأمية ومروراً بعرض الخمر واللبن على النبي واختيار اللبن وقول جبريل : " اخترت الفطرة " .. وانتهاء بالمرائي التي رآها النبي ليلة الإسراء. ومنها: التعبير عن حقيقة الربا برجل يسبح في نهر من الدم ويذهب إلى أحد شاطئي النهر فيلقم بحجر فيأخذه بفمه ويذهب إلى الشاطئ الثاني فيلقم بحجر
وهكذا..فيقول: من هذا يا جبريل؟ _ فبقول: هذا آكل الربا[1]فنجد الارتباط بين الدم والمال باعتبار

(1) [صحيح] أخرجه البخاري في (التعبير / بـ تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح / ح 7047) من حديث سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا قَالَ فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ : [إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ فَيَتَهَدْهَدُ الْحَجَرُ هَا هُنَا فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى قَالَ قُلْتُ لَهُمَا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ

أن الدم والمال هما شريان الحياة، ونجد الحجر الذي يلتقمه حتى يشبع لأنه لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب وهاهو يلتقم حجراً ونجد تكرار الموقف بين الشاطئين ليمثل كل شوط دورة من دورات الربا التي يضاعف بها المال كما يتضاعف الحجر.

مرأى آخر نرى فيه رجالاً أمامهم لحم نظيف طاهر، ولحم نتن عفن، فيتركون اللحم النظيف الطاهر، ويأكلون من اللحم العفن..

لِقَفَاهُ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ قَالَ وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ فَيَشُقُّ قَالَ ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى قَالَ قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا قَالَ قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَانِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْآةِ كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا قَالَ قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيْ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ قَالَ قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا مَا هَؤُلَاءِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ قَالَ قَالَا لِي ارْقَ فِيهَا قَالَ فَارْتَقَيْنَا فِيهَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ قَالَ قَالَا لَهُمْ اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ قَالَ وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ قَالَ قَالَا لِي هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ قَالَ فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ قَالَ قَالَا لِي هَذَاكَ مَنْزِلُكَ قَالَ قُلْتُ لَهُمَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ قَالَا أَمَّا الْآنَ فَلَا وَأَنْتَ دَاخِلَهُ قَالَ قُلْتُ لَهُمَا فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ قَالَ قَالَا لِي أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنْ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالَ فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرٌ قَبِيحًا فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ].

فيقول : من هؤلاء يا جبريل فيقول : هؤلاء الزناة يتركون نساءهم ويزنون. يتركون اللحم النظيف النقي ويأكلون اللحم العفن.
مرأى ثالث خطير ومهم.
رأى ثوراً يخرج من جحر ثم يحاول الثور أن يدخل في الجحر مرة أخرى، ولا يستطيع. قال : من هذا يا جبريل .
قال : هو الرجل يتكلم الكلمة فتخرج من فمه ويريد أن يعيدها إلى فمه ولا يستطيع. هكذا تكون الكلمة غير المحسوبة.. ثور هائج لا يتحكم فيه أحد.. ولا يمكن أن يعود إلى الجحر.
وبذلك كانت المرائي مثالاً للأسلوب الأمي.. في طرح القضايا الإسلامية الضخمة و هذا هو مضمون الأمية .
سورة الجمعة :
ثم تأتي سورة الجمعة لتحدد في عملية نقل الولاية مفهوماً جديداً وهو أن الولاية لشخص رسول الله ولأمته معه، لامه الولاية الجديدة (الأمية) .
(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) .
(الجمعة : 2). وقد تم ذلك بصفتهم الأميين.
لأن نقل الولاية ليس مهمة فردية أو شخصية خاصة برسول الله ولكنها للأمة بعد رسول الله إلى قيام الساعة، ولذلك قال : (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). (الجمعة : 3).
والتفسير الأساسي لذلك هو فضل الله.

(ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). (الجمعة : 4).
أما الطرف الذي نقلت منه الولاية فهم اليهود ولكن سوره الجمعة تصف اليهود وصفا لا ينتفي به ولا يتهم علي الإنسانية فقط بل تنتفي به صفتهم الإنسانية .
وهذا قول الله عز وجل (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(سورة الجمعة :5).
تتضمن الآية دلالة أخرى أن بنى إسرائيل كانوا لا يحققون ما يعلمون كما ورد فيهم في سورة البقرة " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب
أفلا تعقلون " (44) و قال النبي في تفسير الآية يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنْ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ "[1]_
وكذلك تصورهم عن أنفسهم وادعاء أنهم أولياء لله من دون الناس وهم ليسوا كذلك بموجب ظلمهم حيث نصت آية العهد في سورة البقرة على أن الظالمين هم الذين لا ينالون عهد الله _ كما قال الله : (قال لا ينال عهدي الظالمين).

---

(1) أخرجه البخاري في (بدء الخلق / بـ صفة النار وأنها مخلوقة / ح 3267) [متفق عليه] ، ومسلم في (الزهد والرقائق / بـ عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله / ح 2989) من حديث أسامة بن زيد .

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (الجمعة : 6).

أن الدراسة الإنسانية و النفسية لهذه الأمة التي نزعت عنها الولاية أمر سيكون أمراً ضرورياً .

دراسة نفسيه لليهود :

لقد كان الشرط النفسي الأساسي في أمة الولاية البشرية العامة؛ هو أن تكون هذه الأمة قادرة على استيعاب كل التجارب البشرية.

ولكن بني إسرائيل ظلوا أسرى تجربتهم حتى بعد تسلمهم الولاية، حيث كانت تجربة الاستضعاف والقهر هي المصدر الأعلى لكل خصائصهم النفسية.

وكانت أخطر الآثار النفسية المترتبة على فترة الاستضعاف، عدم وفائهم بالعهود وردهم الحقوق إلا بالقهر، لأنهم فقدوا حاسة الإرادة بالقهر الاجتماعي، لذلك أخذ الله عليهم عهد التوراة وقد رفع فوقهم جبل الطور.

فأخذوا التوراة خوفاً من وقوع الجبل عليهم.

ومن موقف الجبل المرفوع فوقهم يتبين أن فترة القهر والاستضعاف التي عاشتها بني إسرائيل في مصر، أوجدت عندهم بلادة في الإحساس فأصبحوا لا يتأثرون بمجرد الخوارق. حتى أصبحت حياتهم كلها بكل أيامها، ذات طبيعة خارقة.

ولعل هذه الحادثة التي رواها البخاري تدل على طبيعة الخوارق في حياة بني إسرائيل .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ كَانَ يُصَلِّي جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ فَقَالَ أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي

فَقَالَتْ اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ الْمُومِسَاتِ وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ قَالَ الرَّاعِي قَالُوا نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ لَا إِلَّا مِنْ طِينٍ وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ فَقَالَتْ اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ فَقَالَتْ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ فَتَرَكَ ثَدْيَهَا فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا فَقَالَتْ لِمَ ذَاكَ فَقَالَ الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنْ الْجَبَابِرَةِ وَهَذِهِ الْأَمَةُ يَقُولُونَ سَرَقْتِ زَنَيْتِ وَلَمْ تَفْعَلْ "[1]

ولعلك تلاحظ كيف أن حواراً تم بين المرأة و رضيعها ولم تلتفت إلى أنه يتكلم في المهد.

وكذلك حادثة موسى عندما كان يغتسل وحده بعيداً عن بني إسرائيل. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَكَانَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ يَقُولُ ثَوْبِي يَا حَجَرُ حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ وَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا فَقَالَ

---

[1] (1) أخرجه البخاري في (أحاديث الأنبياء / بـ قول الله تعالى واذكر في الكتاب [صحيح] مريم إذ انتبذت / ح 3436) من حديث أبي هريرة

أَبُو هُرَيْرَةَ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَنَدَبٌ بِالْحَجَرِ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ ضَرْبًا بِالْحَجَرِ"[2]
فهو قولهِ تبارك وتعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا)(الأحزاب :69).
ولعلك تلاحظ في الحديث أن بني إسرائيل قد التفتت إلى موسى وعلمت أنه ليس به عيب ولم يلتفتوا إلى الحجر وهو يجري بثوب موسى .
هذه الطبيعة الخارقة لبني إسرائيل...جعلتهم لا يتأثرون بالطرح الكلامي للرسالة.
فنجد أن ابتداء انقيادهم لموسى للخروج من مصر جاء بعد الآيات التسع التي أرسلها الله مع موسى لفرعون وملأه، كما كان استمرار انقيادهم لموسى للخروج من مصر كان بعد انشقاق البحر.
ولكن ذلك كله لم يؤثر فيهم أي تأثير..حتى إنهم لما وجدوا قوماً يعكفون على أصنام لهم قالوا : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة.
(وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)(سورة الأعراف:138).
غير أن أخطر أسرار التكوين النفسي لليهود المانع لهم من الولاية على البشر هو حسد العباد على القرب من الله، حتى أصبحوا لا يطيقون رؤية عبد قريب من الله سبحانه ..

---

(2) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الغسل / بـ من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة ومن تستر / ح 278) ، ومسلم في (الحيض / بـ جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة / ح 339) من حديث أبي هريرة .

فكيف سيقومون على تحقيق قرب جميع البشر من الله وإقامة واقع العبودية لله فيهم !!
ولعل حادثه العابد جريج التي من ذكرها دليل على ذلك . حيث لم يطيقوا رؤية جريج العابد يعبد الله في صومعته فتحايلوا عليه بالمرآة البغي حتى يفتنوه عن عبادته[1]
ولم تكن هذه الخصلة في أحد غيرهم حتى إن الله حاسبهم عليها كما حاسب القاتل من ابني آدم. وفي هذا كان قول الله في سورة المائدة :
وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (المائدة : 27) .. حتى قال الله في آخر

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (أحاديث الأنبياء / بـ قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت / ح 3436) ، ومسلم في (البر والصلة والآداب / بـ تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة / ح 2550) من حديث أبي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : [لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ يَا جُرَيْجُ فَقَالَ يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَانْصَرَفَتْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ يَا جُرَيْجُ فَقَالَ يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَانْصَرَفَتْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ يَا جُرَيْجُ فَقَالَ أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَقَالَتْ اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا فَقَالَتْ إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ قَالَ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ قَالُوا زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ فَقَالَ أَيْنَ الصَّبِيُّ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ فَصَلَّى فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ قَالَ فُلَانٌ الرَّاعِي قَالَ فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وَقَالُوا نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ لَا أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ فَفَعَلُوا وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ فَقَالَتْ أُمُّهُ اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ قَالَ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ فَجَعَلَ يَمُصُّهَا قَالَ وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ زَنَيْتِ سَرَقْتِ وَهِيَ تَقُولُ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَقَالَتْ أُمُّهُ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا فَهُنَالِكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ فَقَالَتْ حَلْقَى مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ فَقُلْتَ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ زَنَيْتِ سَرَقْتِ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا قَالَ إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا فَقُلْتُ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا] .

القصة : [مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا] (المائدة : 32) .
لأن الحكم يدور مدار العلة فلما قامت العلة في بني إسرائيل وهي الحسد على القرب من الله كان لهم حكم القاتل من ابني آدم بسبب حسده لأخيه على قربه من الله .
و من أجل ذلك كان التقييم القرآني لبنى إسرائيل هو هذا المثل . . .
مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . (الجمعة : 5).لذلك فهم لا يصلحون للولاية.
وكما تبينت أسباب انتقال الولاية من بنى إسرائيل تبين من مجموع الآيات الواردة في السور الخصائص التي استحقت بها الأمة الإسلامية هذه الولاية و كان لهذا الاستحقاق شاهدين: الأمية والختان.
ـ الأمية :
تعريف الأمية:
الأمية معنى له تفسيران.
تفسير نظري وتفسير واقعي.
والتفسير النظري له جانبان:
- تفسير لغوي.
- تفسير اصطلاحي.
والتفسير الواقعي له جانبان.
- جانب خاص بالرسول خاصةً.
- الجانب الخاص بأمة رسول الله .
وبعد هذا الإطار يبدأ التحديد.....
* التفسير اللغوي:

الأمية نسبة إلى الأم، وهذه النسبة تعني الناحية المعرفية الناشئة عند الابن من خلال علاقته بأمه وتتميز هذه المعرفة:
بالفطرة .
والبساطة .
والحسية .
* التفسير الاصطلاحي :
وباعتبار أن هذه الطبيعة المعرفية لا يدخل فيها القراءة والكتابة؛ فإن الإنسان الذي لا يقرأ ولا يكتب يكون أمياً ...
وهذا المعنى الاصطلاحي ناشئ عن أن القراءة والكتابة هي المرحلة التي يتجاوز بها الابن مرحلة التلقي عن الأم.
ومن هنا جاء المعنى بأن الأمية هي عدم القراءة والكتابة .اصطلاحاً .
* التفسير الخاص:
أما التفسير الخاص برسول الله فالرسول عليه الصلاة والسلام باعتبار معجزته ذات الطبيعة الحجية العقلية العلمية .. كان لابد أن يكون أمياً لا يقرأ ولا يكتب وذلك لإظهار الإعجاز بصورة كاملة .

وبذلك أصبح المعنى الاصطلاحي للأمية ينطبق على رسول الله .
فهو النبي الذي منعه الله أي معرفة قبل الوحي..
أما تفسير الأمية الخاص بالأمة فله ثلاثة أبعاد :
البُعد الأول: إطلاق اسم الأمية على الأمة باعتبار انتسابها للنبي الأمي .
ولذلك أثبت القرآن خضوع غير العرب من المسلمين لصفة الأمية باعتبار الانتساب للامة

الأمية وقوله تعالى : (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(الجمعة : 3).
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قَالَ قُلْتُ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ أَخْبَرَنِي ثَوْرٌ عَنْ أَبِي الْغَيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ "[1]
ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية، وعلى عموم بعثته إلى جميع الناس و أنه فسر قوله تعالى : وَآخَرِينَ مِنْهُمْ ، بفارس. ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى اتباع ما جاء به. ولهذا قال مجاهد وغير واحد في قوله تعالى : وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ، قال : هم الأعاجم وكل من صدق النبي من غير العرب. وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو محمد عيسى بن موسى عن أبي حازم عن سهل ابن سعد الساعدي قال : قال رسول الله : " إن أصلاب أصلاب أصلاب

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (تفسير القرآن / بـ قوله وآخرين منهم لم يلحقوا بهم / ح 4898) ، ومسلم في (فضائل الصحابة / بـ فضل فارس / ح 2546) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قَالَ : قُلْتُ : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ : [لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ] .

رجال ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، ثم قرأ : وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ يعني بقية من بقى من أمة محمد وقوله تعالى : وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، أي : ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره، وقوله تعالى : ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . (الجمعة : 4)[1]

يعني ما أعطاه الله محمداً من النبوة العظيمة وما خص به أمته من بعثته .

البُعد الثاني: هو عدم وجود أي معرفة حضارية للأمة قبل البعثة رغم معرفتها الثابتة للقراءة والكتابة ..

البُعد الثالث : هو المعنى الجامع للأمية بين الرسول والأمة فهو معنى الأمية ومنهج الدعوة. فالأمية في منهج الدعوة ليست مستوى معرفي ولكنها أسلوب دعوي .. فنحن قوم أميون باعتبار أسلوب الدعوة الذي نراعي فيه كل المستويات البشرية الثقافية والعلمية..

ابتداء من التفهيم بالإشارة . عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ رَمَضَانَ فَضَرَبَ بِيَدَيْهِ فَقَالَ الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا ثُمَّ عَقَدَ إِبْهَامَهُ فِي الثَّالِثَةِ فَصُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ ثَلَاثِينَ [2]

---

(1) . تفسير القرآن العظيم " (4 / 327 – 238) "

(2) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الصوم / بـ قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم / ح 1906) ، ومسلم في (الصيام / بـ وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية / ح 1080) من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ رَمَضَانَ فَقَالَ : [لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلَالَ وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ] ، وفي لفظ لمسلم [ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَضَانَ فَقَالَ الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا وَقَالَ فَاقْدِرُوا لَهُ وَلَمْ يَقُلْ ثَلَاثِينَ] ، ولكن في لفظ للبخاري من حديث أَبَي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ قَالَ : قَالَ : أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ] .

وهذا الحد يمثل الحد الأدنى للعقول التي نتعامل معها في دعوتنا.
وهو نقل الرسالة كما هي باعتبارها فطرة.
فلزم عند الأميين أن تكون طبيعة التلقي لهذا الدين من طبيعة الدين. وأن تكون طبيعة اعتناقه من طبيعة تلقيه. وأن تكون طبيعة الدعوة إليه من طبيعة اعتناقه، وهكذا.

ـ الختان:

لقد تبين مما سبق أن الأمية كانت أساسية مباشرة في استحقاق أمة النبي للولاية . .
أما الختان فقد تبين أنه الأساسية الموازية للأمية . .
ونذكر الوثيقة الدالة على ركيزة الختان في الولاية . . بصورتها المباشرة كما كانت في الأمية و هذه الوثيقة أعطى فيها ملوك الروم الرسول صلى الله عليه وسلم لقب (ملك الختان) حيث كان لهذا اللقب دلالته السياسية الهائلة.
ومن هنا ننتقل إلى البخاري لنقرأ الوثيقة..
ففي كتاب بدء الوحي :

وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ

خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَتِنُونَ فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ[1]

---

(1) أخرجه البخاري في (بدء الوحي / بـ بدء الوحي / ح 7) من حديث عَبْدَ اللَّهِ [صحيح] بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتُرْجُمَانِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ لَا قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ قَالَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا

وقد تبين من حديث هرقل عدة حقائق..
الأولى : أن ذرية إبراهيم المستحقون للإمامة بعد إتمام الكلمات هم اليهود والعرب.
وأن علامة إمامتهم هي الختان لأنها العلامة المشتركة بينهم. لذلك قال هرقل : لقد ظهر ملك الختان ..
والدليل على أن الملك سيكون عالمياً هو قول هرقل : لو كان كما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. لأن هرقل كان ملك العالم حيث

قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَتِنُونَ فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ .]

جاء الحوار بعد انتصار الروم على الفرس..
وأصبحت الروم أقوى دولة في العالم.
واعتبار الختان (كعلامة كونية) على الولاية (كحقيقة قدرية) ليست المثال الوحيد للعلامة الكونية على الحقيقة القدرية.
فمثلها : خاتم النبوة.. وهي علامة كونية دالة على النبوة كحقيقة قدرية..
وباعتبار أن الختان أساس للعلاقة الزوجية السليمة..
وباعتبار أن العلاقة الزوجية الصحيحة أساس للشخصية ..
كان الختان أساس في التكوين الشخصي والنفسي للإنسان.
وباعتبار أن الختان مرتبط بشخصية إبراهيم الخليل ..
فإن الختان قد أحدث ارتباطاً شخصياً ونفسياً بسيدنا إبراهيم..
واخطر الأدلة على ذلك هو الانفصال الشخصي والنفسي بين سيدنا إبراهيم والنصارى بسبب امتناعهم عن الختان .
وهذا الدليل هو الذي يفسر الأثر النفسي والشخصي وبالتالي الفكري والحضاري للختان على الإنسان.
ومن هنا كان الختان علامة كونيه للولاية على البشر

ـ قريش:

وقد قضت آية العهد بمشاركة إسماعيل لإبراهيم في بناء البيت. وفي الدعاء (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن

ذريتنا أمه مسلمة لك و أرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم).
ولقد كان لهذه المشاركة آثار جوهرية في قضية الإمامة.
وكان أهم هذه الآثار هو بقاء الإمامة في ذرية إسماعيل .. عَنْ أَبِي عَمَّارٍ شَدَّادٍ أَنَّهُ سَمِعَ وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ "[1]
حيث بقيت في قريش ومنها النبي صلى الله عليه وسلم وفي ذلك كان قول النبي : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ ..... "[2]
وعن عمرو بن العاص عن النبي قال: " عن عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قُرَيْشٌ وُلَاةُ النَّاسِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "[3]
ـ ◌ عَنْ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ

---

(1) [صحيح] أخرجه مسلم في (الفضائل / بـ فضل نسب النبي صلى الله عليـه وسـلم / ح 2276) من حديث واثلة بن الأسقع .

(2) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (المناقب / بـ قول الله تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم / ح 3496) ، ومسلم في (الإمارة / بـ الناس تبع لقريش والخلافة في قريش / ح 1818) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : [النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ وَالنَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الشَّأْنِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ] .

(3) [صحيح] أخرجه الترمذي في (الفتن / بـ ما جاء أن الخلفاء من قريش إلى أن تقوم الساعة / ح 2227) من حديث عمرو بن العاص ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب صحيح اهـ ، وصححه الشيخ الألباني في (السلسلة الصحيحة / 3 / 145 / ح 1155) .

وَادِيًا سَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَلَقَدْ عَلِمْتَ يَا سَعْدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَأَنْتَ قَاعِدٌ قُرَيْشٌ وُلَاةُ هَذَا الْأَمْرِ فَبَرُّ النَّاسِ تَبَعٌ لِبَرِّهِمْ وَفَاجِرُهُمْ تَبَعٌ لِفَاجِرِهِمْ قَالَ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ صَدَقْتَ نَحْنُ الْوُزَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْأُمَرَاءُ "[1]

ومعنى التبعية كما فسره ابن حجر في فتح الباري..

لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم _ عبارة ابن حجر _

وهذا يعني أن الناس المسلمين كانوا تابعين لمن أسلم من قريش.

وان الناس الكافرين كانوا تبعاً لمن كفر من قريش وان من آمن من الناس هم الذين يقاس عليهم جميع المؤمنين وان أول من آمن من الناس من قريش هم الذين يقاس عليهم جميع المؤمنين وان أول من كفر من الناس من قريش هم الذين يقاس عليهم جميع الكافرين والحقيقة المبدئية في هذا القياس هي أن الإيمان ملة واحدة وان الكفر مله واحدة ، والقرآن يثبت هذه الوحدة.

و ستظل تلك التبعية حتى آخر الزمان بدليل عَنْ عَاصِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْ النَّاسِ اثْنَانِ "[2]

ولكن الرسول حدد لتلك التبعية عدة شروط . . . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ثم صلى الله عليه وسلم الأمراء من قريش ما بثلاث ما رحموا إذا استرحموا وأقسطوا إذا قسموا وعدلوا إذا حكموا ".

---

(1) أخرجه أحمد في (المسند / 19) قال السيخ **شعيب : صحيح لغيره رجاله ثقات رجال الشيخين وهو مرسل** .

(2) أخرجه مسلم في (الإمارة / بـ الناس تبع لقريش والخلافة في قريش / ح [صحيح] 1820) من حديث عبد الله بن عمر .

وقد كان لتلك التبعية الباقية بشروطها تفسير إنساني يتفق مع المهمة المرهونة بقريش و هو أن قريش تتمتع بخصال وهبها الله إياها و دل على ذلك ما روايا عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الله قريشا بسبع خصال فضلهم بأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده إلا قرشي وفضلهم بأنه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون وفضلهم بأنه نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيهم غيرهم لإيلاف قريش وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجابة والسقاية ".
الطبراني في الكبير
غير أن أهم خصائصها المرتبطة بمهمة الإمامة هو ما رواه أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] عن أبي هريرة عن النبي قال: " خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش: أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده "[1]
* العرق العربي:
و كما دخلت قريش في قضية الخلافة من مشاركة إسماعيل لإبراهيم في رفع القواعد من البيت دخل العرق العربي في قضية الخلافة من خلال القافلة العربية التي تزوج منها إسماعيل وكان أقوي دلائل ذلك :
اللغة العربية.

1- اللغة العربية... لغة رسالية

إن تحليل اللغة العربية يأتي باعتبار أنها لغة الرسالة العامة والباقية، وهي الإسلام، مما يعني أن هذه اللغة تجاوزت بطبيعتها حدود الأمم

---

(1) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (أحاديث الأنبياء / بـ قوله تعالى وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله ... / ح 3434) ، ومسلم في (فضائل الصحابة / بـ من فضائل نساء قريش / ح 2527) من حديث أبي هريرة .

وحدود الزمن. وذلك باعتبار أن العرق الذي قامت عليه الرسالة هو العرق العربي، وأن اللغة العربية هي لسان القوم حسب القاعدة المتبعة في كل الرسالات. ومن هنا جاء اختصاص اللغة العربية بالدراسة كظاهرة إنسانية تمثل أساساً رسالياً دعوياً.

و ينطلق تحليل اللغة العربية من شرفها كلغة للقرآن و فصاحتها كلغة للإنسان؛ ولكن التحليل يمتد ليصل إلى طبيعتها كأسلوب للدعوة.

واللغة العربية تتميز بارتباطها كلغة بطبيعة الدعوة. وذلك من حيث الإبانة عن المعاني العقيدية والتصورية وتوظيفها للدعوة.

ومن حيث التجاوب السهل مع قوة المعاني كضرورة للدعوة.

ومن حيث الفاعلية اللغوية في النفس البشرية كتأثير للدعوة.

و بمقارنة سريعة بين اللغة العربية و اللغة الإنجليزية في معني أي كلمة تتبين حقيقة اللغة العربية وقيمتها ومثال معنى الشيطان، فتجد في اللغة الإنجليزية مثلاً أن أحد مرادفتها demon ومعناها (الروح الحارسة)، أو (شخص ذو قوة) أو (نصف إله) فنلاحظ أن اللغة الإنجليزية تشتق من الاسم معاني لا تتفق مع حقيقة الشيطان.

ولكن اللغة العربية تشتق من الكلمة كل المشتقات المؤكدة لحقائقه المتعددة؛ فمن مادة شيطان : (الشطط)و وهو الغلو والبعد. و(الشط)و وهو التقابل والضد، و(شاط)و وهو الاحتراق والنار، و(أشاط) و وهو الإهلاك والتلف، و(شوطاً) وهو البعد.

و في غثبات ضعف الشيطان ضرب رسول الله للشيطان مثلاً كونياً و هو الذباب فقال : " عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ عَنْ رَجُلٍ قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَثَرَتْ دَابَّةٌ فَقُلْتُ تَعِسَ الشَّيْطَانُ فَقَالَ لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ وَيَقُولُ بِقُوَّتِي وَلَكِنْ قُلْ بِسْمِ اللَّهِ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ "[1]

و الواقع أن هذا المثل ليس مجرد تشبيه بين أمرين و لكنه مثل للعلاقة بين الشيطان والذباب بصورة كاملة مطلقة إلى الدرجة التي تصبح بها هذه العلاقة أساساً لحقائق اعتقاديه خطيرة للغاية.و لإثبات ذلك فإننا يجب أن نرجع إلى مادة ذباب في اللغة .. لتكون المفاجأة العظمى في العلاقة بين الشيطان و الذباب هي أن اللفظ و مشتقاته لا تخرج جميعها عن معاني الشيطنة.

(1) ذباب: من الذب و الذب هو الطرد و الدفع و المنع و كلها عوامل متعلقة بالشيطان تعلقاً مباشراً في قوله سبحانه: قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً [الأعراف:18] مذءوماً: معناها الطرد و الخزى و الذم.

(2) رجل محشى الذباب: أي الجاهل.

(3) الذباب: الشر – فلان أصاب عن فلان ذباب أي شر – و أرض مذبوبة: موحشة.

(4) الذبذبة و الذباب: الأجراس: أشياء تعلق بالهودج أو رأس البعير للزينة و الواحد ذبذب أي جرس.

(5) الذبذب: سوءة الرجل و لسانه و هما ما ورد فيهما قول رسول الله : " عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ

---

[1] أخرجه أبو داود في (الأدب / بـ لا يقال خبثت نفسي / ح 4982) من حديث [صحيح] (1) . رجل " مبهم " ، وصححه الشيخ الألباني

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ "[1]
و قوله: " أخزن عليك هذا – وأشار إلى لسانه – إلا بخير تغلب الشيطان ".
(6) متذبذب متردد و متحير من الحيرة.
(7) تذبذب في الهواء: تحرك و اضطرب من الاضطراب كما في الحديث " كأني أنظر إلى يديه تتذبذبان " أي تضطربان.
(8) ذبيبان كلمة تقال في الطعام الذي لا خير فيه.
(9) ذببنا ليلتنا و تعبنا و شقينا.
(10) الذباب: الطاعون والملاحظة المهمة هنا أن الذباب أحد أسباب مرض الطاعون و هو الذي وصفه رسول الله بقوله: " الطاعون قال وخز أعدائكم من الجن "[2]
(11) الذباب: الجنون ذب الرجل إذا جن.
(12) و أخيراً نأتي إلى الاشتقاق الأخطر و هو الذئب: و عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ وَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ[1]
ومنه ذؤبان الناس: أي الصعاليك و اللصوص و ذؤب الرجل يذؤب ذابة: خبث.

---

(1) [صحيح] أخرجه البخاري في (الرقاق / بـ حفظ اللسان / ح 6474) من حديث سهل بن سعد .

(2) أخرجه أحمد في " مسنده " من حديث أبي موسى ، وصححه الشيخ الألباني [صحيح] في (السلسلة الصحيحة / 4 / 561 / ح 1928) .

(1) أخرجه أحمد في ط مسنده " من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : [إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ] . **وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حسن لغيره وهذا سند رجاله ثقات إلا أنه منقطع .**

المتذائب: المضطرب. و يقال للذي أفزعته الجن تذأبته أو تذعبته.
عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِي شَعْرٌ طَوِيلٌ فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذُبَابٌ ذُبَابٌ قَالَ فَرَجَعْتُ فَجَزَزْتُهُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ الْغَدِ فَقَالَ إِنِّي لَمْ أَعْنِكَ وَهَذَا أَحْسَنُ .[2]
وكذلك لفظة : (إبليس) تجد لها في اللغة العربية أربعة مشتقات هي في حقيقتها العناصر الأساسية لحركة إبليس، فإبليس من الإبلاس، والإبلاس هو الحزن والحيرة واليأس والندم. ولا يخرج إبليس من حيث الواقع في وجوده وأهدافه عن هذه العناصر.
ومن مفردات اللغة العربية الدالة على منهجيتها الكاملة كلمة " دخان " حيث كانت هذه الكلمة بكل مشتقاتها تفسيراً كاملاً للمسيح الدجال أما تفسير دلالة الدخان على طبيعة الدجال فهو الأمر الذي يعود بنا إلى معنى كلمة (دخان) وخصوصاً إذا علمنا أن الدلالة مرتبطة بالاسم و حيث أن البداية كانت مجرد كلمة مخبئة من رسول الله صلى الله عليه وسلم له[3].

---

(2) [صحيح] أخرجه أبو داود في (الترجل / بـ في تطويل الجمة / ح 4190) ، وابن ماجة في (اللباس / بـ كراهية كثرة الشعر / ح 3680) من حديث وائل بن حجر ، وصححه الشيخ الألباني في (صحيح ابن ماجة / 2 / 289 / ح 2931) .

(3) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الجنائز / بـ إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه / ح 1355) ، ومسلم في (الفتن وأشراط الساعة / بـ ذكر ابن صياد / ح 2931) من حديث سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَهْطٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدَهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ يَوْمَئِذٍ الْحُلُمَ فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ صَيَّادٍ : [أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَرَفَضَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاذَا تَرَى قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ هُوَ

ولكننا نفاجأ بتفسير كلمة : (دخان) لنجدها علامة الدجال من بـدايته إلى نهايته وكما جاء في لسان العرب :
فالدخن : الرجيع من الطعام الذي يتجنبه الناس .
دخان : جدب .
الدخان : الجوع ليبس الأرض من الجدب وارتفاع الغبار فسبه غبرتها بالخان حتى قيل لسنة المجاعة : (سنة غبراء) .
الدخان : الشر وضعت العرب الدخان موضع الشر إذا علا يقولون : كان بيننا أمر ارتفع له دخان .
الدخن : رجل دخن متغير الدين والعقل والحسب .
دخن الخلق : ساء وفسد وخبث .
الدخن : الغم و ليلة دخنانه : أي شديدة الغم .
الدخن : الفتنة ستكون فتنة دخنها من تحت قدم رجل ...
الدخن : هدنة على دخن شبهها بدخان الحطب الربط لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر .
ومن تحليل كلمة الدخان ومشتقاتها يتبين التوافق بين الكلمة والدجال .
فمن حيث فتنة الدجال هي فتنة الجوع . كان الدخان : الرجيع من الطعام الذي يتجنبه الناس . والجدب و الجوع
ومن حيث أن فتنة الدجال هي فتنة الشر . كان الدخان : هو الشر الذي يعلو .و السواد هو الغيم

الدُّخُّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ذَرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ] .

وكان الدخان من حيث الخلق : هو السوء والفساد والخبث .
ومن حيث أن الدجال فتنة عن الدين .
وكان الدخن : هو تغير الدين والعقل والحسب .
ومن حيث أن الدجال علامة خداعية .
كان الدخن هو الخداع : لما في حديث هدنة على دخن و وصفت بذلك لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر يعني الخداع .
ومن مفردات اللغة العربية الدالة على منهجيتها كلمة " لحية " التي أمر رسول الله بإطلاقها حيث قال عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَمَرَ بِإِحْفَاءِ الشَّوَارِبِ وَإِعْفَاءِ اللِّحْيَةِ.[1]
وعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَوْفُوا اللِّحَى ".[2]
إن مصدر هذا الاسم هو " اللحاء " فـ " اللحية " من " اللحاء " وهو قشر الشجر الذي يحميه و يعطيه صورته الخارجية الجميلة فأثبت المصدر " اللحاء " أن اللحية جزء من الإنسان ليس زائداً عنه و هذا الجزء هو الذي يعطى للإنسان صورته الجميلة كما يعطى اللحاء للشجر صورته الجميلة و هذا المفهوم هو الذي قالت فيه عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها - :" سبحان من زين الرجال باللحى "[3] و هذه العبارة تثبت مع ما

---

(1) أخرجه مسلم في (الطهارة / بـ خصال الفطرة / ح 259) من حديث ابن [صحيح] عمر .

(2) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (اللباس / بـ تقليم الأظافر / ح 5892) ، ومسلم في (الطهارة / بـ خصال الفطرة / ح 259) من حديث ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَوْفُوا اللِّحَى]، ولفظ البخاري [وفروا , أحفوا الشوارب] .

(3) [موضوع] **: روي الحديث مرفوعاً وموقوفاً**
أما المرفوع: فرواه الديلمي في "الفردوس بمأثور الخطاب"(4/157-غير المسندة) من طريق الحاكم النيسابوري-ولم يروه في المستدرك فلعله في تاريخ نيسابور-: أخبرنا ابن عصمة : حدثنا الحسين بن داود بن معاذ

سبق الإحساس الإنساني باللحية من جهة المرأة فالمرأة بإحساسها الفطري الصحيح ترى اللحية زينة و صورة جمالية تميز الرجل .
ومن مفردات اللغة العربية الدالة على منهجيتها ما سبق قوله في معنى الشريعة فإن الشريعة لغة هي مورد الماء الذي يرده الأحياء للشرب فيثبت من خلال المعنى التوافق بين الوحي و الماء كما يثبت التوافق ضرورة الماء للحياة في قوله سبحانه : { و جعلنا من الماء كل شيء حي } .

حدثنا النضر بن شميل حدثنا عوف عن الحسن عن عائشة -رضي اللهُ عنها- مرفوعاً : ((ملائكةُ السماءِ يستغفرونَ لذوائبِ النساءِ، ولِحى الرجال، يقولون: سبحان الله الذي زين الرجال باللحى، والنساء بالذوائب)).
وأما الموقوف ، فرواه ابن عساكر في تاريخ دمشق(36/343) : من طريق الخليل بن أحمد بن محمد بن الخليل: نا أبو عبد الله محمد بن معاذ بن فهد النهاوندي -وسمعته يقول: لي مائة وعشرون سنة، وقد كتبت الحديث، ولحقت أبا الوليد الطيالسي والقعنبي وجماعة من نظرائهم، ثم ذكر أنه تصوَّفَ، ودفن الحديث الذي كتبه أول مرة، ثم كتب الحديث بعد ذلك، وذكر أنه حفظ من الحديث الأول حديثاً واحداً وهو ما حدثنا به-: نا محمد بن المنهال الضرير نا يزيد بن زريع نا روح بن القاسم عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : (إن يمين ملائكة السماء: والذي زين الرجال باللحى والنساء بالذوائب)
: الحكم عليه
.. الحديث موضوع مرفوعاً وموقوفاً
أما المرفوع فآفته الحسين بن داود بن معاذ البلخي : اتهمه الخطيب البغدادي بوضع هذا الحديث وقال عنه: لم يكن ثقة؛ فإنه روى نسخة عن يزيد بن هارون عن حميد عن أنس أكثرها موضوع" انظر تاريخ بغداد(8/44).
وقد ذكره المناوي في فيض القدير(6/14) : موقوفاً على عائشة -رضي اللهُ عنه- بلفظ : "كانت عائشة تقسم فتقول: والذي زين الرجال باللحى".
ولا أعلم له أصلاً موقوفاً على عائشة -رضي اللهُ عنها- .والله أعلم
وقال عنه الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات(3/439-أضواء السلف) عنه وعن شخصين آخرين: يضعون الحديث.
وقال الذهبي في المغني في الضعفاء(1/171) : ليس بثقة، ولا مأمون، متهم.
وأما الموقوف فآفته محمد بن معاذ النهاوندي فإنه واهٍ متروك كما قال الذهبي في تاريخ الإسلام.
وقال الحافظ ابن عساكر : "هذا حديث منكر جداً وإن كان موقوفاً، وليت النهاوندي نسيه فيما نسي، فإنه لا أصل له من حديث محمد بن المنهال والله اعلم".
وحكم الشيخ الألباني -رحمهُ اللهُ- على الحديث بالوضع . انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة(13/52-53رقم 6023).

وكذلك ضرورة الوحي للحياة في قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله و للرسول إذا دعاكم لما يحييكم } فتأتى كلمة الشريعة بمعنى مورد الماء لتثبت المنهجية المتكاملة لحقائق هذا الدين.

المعطيات النفسية لعناصر الإمامة: الاميه ، الختان ، القرشية .

· معطيات الأمية:

الفطرة.

البساطة.

الحسية.

وكانت معطيات الختان :

التوازن الاجتماعي (العلاقة الزوجية و الذرية).

وكانت معطيات القرشية

الأصالة الإنسانية و الوفاء بالعهد.

إن الأصل العرقي لإسماعيل هو إبراهيم بكل خصائصه النفسية و يضاف إلى تلك الخصائص في ذرية إسماعيل خصائص قبيلة جرهم التي صاهر إليها إسماعيل و يكشف طبيعة هذه القبيلة حادثة بئر زمزم إذ اتفقت القافلة مع هاجر أم إسماعيل على أن يشربوا من بئر زمزم على أن يجعلوا ابنها أميراً عليهم عندما يكبر ..

وكان من الممكن أن يقتلوها و ابنها و يشربوا من البئر كيفما شاءوا . .

وكان من الممكن أيضاً أن يشربوا من البئر رغماً عنها دون أن يقتلوها . .

ولكن الرجال يحتفظون لهاجر بحقها في البئر ويعقدون معها الاتفاق . .

ويكبر إسماعيل و يوفون بعهدهم و يصبح إسماعيل أميراً عليهم . .

وبذلك انصهر معدن قريش في معدن إبراهيم من خلال معدن تلك القافلة صاحبة العهد.
ليكون النبي صلى الله عليه وسلم خير هذه المعادن كما قال (أنا من خيار من خيار من خيار)[1] ليكون الصبر و اليقين هما أخلاق الإمامة في و بعد ركيزة الأمية و الختان على مستوى الأمة المسلمة يبقى أن نفهم أن خصائص الأمة صاحبة الحق في الولاية على البشر تبدأ بخصائص الإنسان فيها و أول هذه الخصائص على الإطلاق هي الصبر واليقين حيث كانت هاتان الصفتان شرطاً نفسياً للإمامة في الدين .. وهذه هي الآية الدالة على ذلك.
" وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا بآياتنا يوقنون "
والملاحظ من الآية ما يدل على أن الصفتان شرطان للإمامة على مستوى الأمة صاحبة الحق في الولاية وهو المقصود بقول الله (وجعلنا منهم).
وتفسير اشتراط الصبر واليقين يرجع إلى أن الوصول إلى غاية الإمامة يتطلب الصبر على معاناة الواقع واليقين في غيب المستقبل..
لأن الإمامة فرض نظام الإسلام على كل مجالات الواقع ومشكلاته.

---

(1) ورد حديث بهذا المعنى من حديث الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ قُرَيْشًا جَلَسُوا فَتَذَاكَرُوا أَحْسَابَهُمْ بَيْنَهُمْ فَجَعَلُوا مَثَلَكَ مَثَلَ نَخْلَةٍ فِي كَبْوَةٍ مِنْ الْأَرْضِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ مِنْ خَيْرِ فِرَقِهِمْ وَخَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا] أخرجه الترمذي في (المناقب / بـ في فضل النبي صلى الله عليه وسلم / ح 3607) ، والبيهقي في " دلائل النبوة " (1 / 168) ، أخرجه بمعناه أحمد في " مسنده " (4 / 166 – 167) ، وقَالَ الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ هُوَ ابْنُ نَوْفَلٍ ، وقال الهيثمي في " المجمع " : رجال إسناده ثقات.

ولذلك كانت القدرة على إقامة الولاية الإسلامية على البشر مرهونة بدرجة هاتين الصفتين على مستوى الأمة وأئمتها.
وكان النبي صلى الله عليه وسلم هو أقوى البشر صبراً ويقيناً.
ودليل ذلك حادثة الهجرة و غزوة والأحزاب .
أما حادثة الهجرة فقد كان فيها . . .
اتباع سراقة بن مالك لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الهجرة فساخت قدما فرسه في الأرض واتبعه دخان حتى استغاثة فدعا له فانطلق الفرس، وأنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسري.[1]
متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق.
وقد روى عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لمَّا جيء بفروة كسري وسيفه ومنطقته وتاجه وسواريه ألبس ذلك كلّه لسراقة بن مالك بن جعشم وقال: الحمد لله الذي ألبس ثياب كسري لرجل أعرابي من البادية.[(1)]
قال الشَّافعي:[(2)] إنما ألبسه ذلك لأنَّ النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه -: ((كأنِّي بك وقد لبست سواري كسري)) والله

---

[1] أصل القصة [صحيح] أخرجه البخاري في (المناقب / بـ مناقب المهاجرين منهم أبو بكر / ح 3652) ، ولكن لفظ [كيف بك إذا لبستَ سواري كسرى ؟] قال : فلما أُتي عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة بن مالك فألبسة إياهما وكان سراقة رجلاً أزب كثير شعر الساعدين ، وقال له : ارفع يديك . فقال : الله أكبر الحمد لله الذي سلبها كسرى بن هرمز الذي كان يقول : " أنا رب الناس " وألبسهما سراقة بن جعشم أعرابي من بني مدلج ورفع بها عمر صوته .
أخرجه ابن حجر في الإصابة (2 / 19) بإسناد رجاله ثقات لكنه منقطع من طرفيه فلا يصح .
وأخرجه أيضاً ابن عبد البر في " الاستيعاب " (2 / 120) بإسناد رجاله ثقات لكنه لا يصح لأنه منقطع من طرفيه أيضاً .
انظر " رسالة الهجرة " صـ 180 ، وهو إسناد ابن حجر نفسه .
عن " السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية " صـ 280 .

(1) وقد تقدم في الذي قبله [ضعيف] .
(2) الأم (4 / 157) وتقدم أن الحديث ضعيف .

أما غزوة الأحزاب فكان فيها الخندق فيقول الصحابي . . .
فحفرنا تحت حتى بلغنا الندى فأخرج الله عز وجل من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر هذه الصخرة فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب وإما أن يأمرنا فيها بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه فرقي سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا خرجت صخرة بيضاء من الخندق مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما نحيك فيها قليلا ولا كثيرا فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان في الخندق فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان فضرب الصخرة حصول صدعها وبرقت منها برقة أضاء ما بين لابتيها يعني لابتي المدينة حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فصدعها وبرق منها برقة أضاء منها ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة فكسرها وبرق منها برقة أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم أخذ بيد سلمان فرقي فقال سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيته قط فالتفت رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى القوم فقال هل رأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا قد رأيناك عملا فيخرج برق كالموج ارثها تكبر فنكبر ولا نرى ذلك قال صدقتم ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسري كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق منها الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا يبلغهم النصر وأبشروا يبلغهم النصر وأبشروا يبلغهم النصر فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صادق بار وعدنا النصر بعد الحصر فطلعت الأحزاب فقال المؤمنون هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما وقال المنافقون ألا تعجبون يحدثكم والباطل ويعدكم الباطل يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسري وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا ؟ وأنزل القرآن: {وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا}[1]

وسنظل نحيا قبلك البشرى حتى يبلغنا النصر بإذن الله

---

(1) [حسن] أخرجه أحمد والنسائي بإسناد حسن كما قال الحافظ في " الفتح " (15 / 280) ، والطبراني في " الكبير " (11 / 376) ، وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (6 / 131) :
" رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد ، ونعيم العنبري ، وعبد الله بن الإمام جعفر ثقة ، وأما نعيم فلم نقف له على ترجمة " اهـ

وأخيراً نأتي إلى الصفات النفسية والأخلاقية للجماعة والأمة صاحبة الحق في الولاية على البشر.

جماع القول في سنة الله في باب الإمامة :

هذا وأريد الآن أن أبين لكم بكلمات موجزة تلك السنة التي سنها الله تعالى في باب الإمامة والتي مازالت نافذة من الأزل، وستبقى جارية ما دام النوع البشري حياً قائماً على فطرته على هذه المعمورة. فهاكم إياها :

إذا لم تكن في الأرض طائفة منظمة متصفة بكل من الأخلاق الأساسية والأخلاق الإسلامية، وهي تستخدم – مع ذلك – الوسائل والأسباب المادية، فلابد أن يُسَلم زمام القيادة والسيادة في العالم إلى طائفة تكون أكثر جمعاً واجتيازاً للأخلاق الأساسية والإنسانية، والأسباب المادية من غيرها؛ وذلك بأن قد جرت مشيئة الله أن يبقى نظام هذا العالم جارياً مطرداً على كل حال، فمن ثم يفوض أمر إدارته وتسيير دفة شؤونه إلى أعظم الطوائف المعاصرة قدرة وأكثرها كفاءة، أما إن كانت في الأرض فئة منظمة تمتاز من بين سائر الفئات الموجودة وتفضلها جميعاً في الأخلاق الإسلامية والأخلاق الإنسانية العامة معاً ثم لا تقصر في الوقت نفسه في استخدام الأسباب المادية حق استخدامها فمن المستحيل عندئذ أن تتسلم قيادة الأرض وتتمتع بسيادتها فئة أخرى بازائها؛ فإن ذلك مما يناقض من فطرة الكون ويناقض سنة الله التي سنها في الشؤون البشرية ويناقض مواعيده التي وعد بها المؤمنين الصالحين من عباده في غير موضع من كتابه العزيز. والله تعالى لا يحب الفساد في أرضه، وأي فساد أبشع وأشنع من أن ينقاد زمام

أمور الأرض لفئة تعبث وتملأها ظلماً وجوراً مع أن فيها فئة صالحة قادرة على تسيير دفة حكمها طبقاً لمشيئة الرب ومرضاته تعالى. ومما ينبغي ألا يغيب عن البال أن نظام الاستخلاف في الأرض لا يمكن أن يتغير ويتبدل بمجرد وجود فرد صالح أو أفراد صالحين مشتتين في الدنيا، ولو كانوا في ذات أنفسهم أولياء لله تعالى، بل ومن أنبيائه ورسله. إن الله تعالى لم يقطع ما قطع من المواعيد لأفراد متفرقين مشتتين وإنما قطعها لجماعة منسقة متمتعة بحسن الإدارة والنظام، قد أثبتت نفسها - فعلاً- أمة وسطاً أو خير أمة في الأرض. (أبو الأعلى المودودي).

الخاتمة

صورة وصفية سلفية للإنسان

وفي خاتمة الكتاب نعرض صورة كتابية سلفية للنفس البشرية يظهر منها جلياً القدرة التعبيرية الرائعة في وصف الإنسان، لنثبت من خلال هذه القدرة التعبيرية أن السلف هم الذين يملكون القدرة الكاملة في التعبير عن النفس البشرية ظاهرا وباطنا. وأن السلف هم أصحاب الحق الأصلي في طرح تلك القضية على العقل البشري ليفهم كل إنسان نفسه كما أراد الله له أن يفهم.

فانظر الآن إلى ظاهر الإنسان وباطنه وإلى بدنه وصفاته فترى به من العجائب

والصنعة ما يفضي إلى العجب وكل ذلك صنع الله من قطرة ماء قذرة، فترى من هذا صنعه في قطرة ماء، فما صنعه في ملكوت السماوات وكواكبها ؟ و ما حكمته في أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها، واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها ؟ فلا تظن أن ذرة من ملكوت السماوات تنفك عن حكمة وحكم بل هي أحكم خلقاً وأتقن صنعاً وأجمع للعجائب من بدن الإنسان، بل لا نسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السماوات. ولذلك قال تعالى : أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا *رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . (النازعـات 29:27).

فارجع الآن إلى النطفة وتأمل حالها أولاً وما صارت إليه ثانياً. وتأمل أنه لو اجتمع الجن والإنس على أن يخلقوا للنطفة سمعاً أو بصراً أو عقلاً أو قدرة أو علماً أو روحاً أو يخلقوا فيها عظماً أو عرقاً أو عصباً أو جلداً أو شعراً هل يقدرون على ذلك ؟ ! بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه، فالعجب منك لو نظرت إلى صورة إنسان مصور على حائط تأنق النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الإنسان، وقال الناظر إليها : كأنه إنسان، عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك محله مع أنك تعلم أن تلك الصورة إنما تمت بالصبغ والقلم واليد وبالحائط وبالقدرة وبالعلم والإرادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش، ولا خلقه بل هو من خلق غيره، وإنما منتهى فعله

الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه !!
وأنت ترى النطفة القذرة كانت معدومة، وخلقها خالقها في الأصلاب والترائب، ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها، وقدرها فأحسن تقديرها وتصويرها، وقسم أجزائها المتشابهة إلى أجزاء مختلفة. فأحكم العظام في أرجائها وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها، ورتب عروقها وأصابعها، وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها، وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة.
وخلق لها الظهر أساساً لبدنها، والبطن حاوياً لآلات غذائها، والرأس جامعاً لحواسها.
ففتح العينين ورتب طبقتها، وأحسن شكلها ولونها وهيئاتها، ثم حماها بالأجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الأقذاء عنها، ثم أظهر في مقدار عدسة منها صورة السماوات مع اتساع أكنافها و تباعد أقطارها فهو ينظر إليها.
ثم شق أذنيها وأودعها ماءً مراً ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها، وحوطها بصدفة الأذن لتجمع الصوت فترده إلى صماخها، ولتحس بدبيب الهوام. وجعل فيها تحريفات و اعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها، ويطول طريقه فيتنبه من النوم صاحبها إذا قصدها دابة في حال النوم.
ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله، وفتح منخاريه، وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على طعامه وأغذيته،

وليستنشق بمنفذ المنخارين روح الهواء غذاءً لقلبه و ترويحاً لحرارة باطنه.
وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقاً وترجماناً، ومعرباً عما في القلب. وزين الفم بالأسنان لتكون آلة الطحن، والكسر والقطع، فأحكم أصولها، وحدد رؤوسها وبيض لونها، ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب، كأنها الدر المنظوم. وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام، وخلق الحنجرة وهيئها لخروج الصوت، وخلق للسان قدرة للحركات، والتقطيعات لتقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع بها طريق النطق بكثرتها. ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته. والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الأصوات فلا يتشابه صوتان، بل يظهر بين كل صوتين فرقاً حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة، ثم زين الرأس بالشعر، والأصداغ، وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجب برقة الشعر، واستقواص الشكل، وزين العينين بالأهداب.
ثم خلق الأعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص، فسخر المعدة لنضج الغذاء، والكبد لإحالة الغذاء إلي الدم والطحال، والمرارة والكلية لخدمة الكبد، فالطحال يخدمها بجذب السوداء عنها، والمرارة تخدمها بجذب الصفراء عنها، و الكلية تخدمها بجذب المائية عنها، والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها، ثم

تخرجه في طريق الأحليل. والعروق تخدم الكبد في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن.
ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد إلي المقاصد، وعرض الكف وقسم الأصابع الخمس،
وقسم كل أصبع إلى ثلاث أنامل و وضع الأربعة في جانب، والإبهام في جانب، لتدور الإبهام على جميعها. ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجهاً آخر في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربع وتفاوت الأربع في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه.
إذا بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والإعطاء، فإن بسطها كانت له طبقاً يضع عليها ما يريد وإن جمعها كانت له آلة للضرب، وإن ضمها ضم غير تام كانت مغرفة
له، وإن بسطها وضم أصابعه كانت مجرفة له.
ثم خلق الأظفار على رؤوسها زينة للأنامل، وعماداً لها من ورائها حتى لا تنقطع، وليلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها الأنامل.
وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو أخس الأعضاء، لو عدمه الإنسان، وظهر به حكة لكان أعجز الخلق، وأضعفهم، ولم يقم أحد مقامه في حك بدنه، ثم هدى اليد إلى موضع الحك حتى تمتد إليه ولو في النوم والغفلة، من غير حاجة إلي طلب. ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك إلا بعد تعب طويل.
ثم خلق هذا كله من النطفة، وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلاث، ولو كشف الغطاء والغشاء، وامتد البصر إليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئاً فشيئاً، ولا يرى

المصور ولا آلته فهل رأيت مصوراً أو فاعلاً لا يمس آلته و مصنوعة
ولا يلقيه وهو يتصرف فيه ؟ !!
فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه !! ثم انظر مع كمال قدرته إلى تمام رحمته، فإنه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ وكأنه عاقل بصير بما يحتاج إليه ؟!!.
ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى التقام الثدي، ثم لما كان بدنه سخيفاً لا يحتمل الأغذية الكثيفة؛ كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف، واستخرجه من بين الفرث والدم سائغاً خالصاً، وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن و أنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليهما فم الصبي، ثم فتح في حلمة الثدي ثقباً ضيقاً جداً حتى لا يخرج اللبن منه إلا بعد المص تدريجياً، فإن الطفل لا يطيق منه إلا القليل، ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق؛ اللبن الكثير عند شدة الجوع.
ثم انظر إلى عطفه ورحمته ورأفته كيف أخر خلق الأسنان إلى تمام الحولين، لأنه في الحولين لا يتغذى إلا باللبن فيستغني عن السن، و إذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف، ويحتاج إلى طعام غليظ، ويحتاج الطعام إلي المضغ والطحن، فأنبت له الأسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها. فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة في تلك اللثات اللينة، ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزاً عن تدبير نفسه !! فلو لم

يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه.
ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجياً حتى بلغ وتكامل، فصار مراهقاً ثم شاباً كهلاً ثم شيخاً؛ إما شكوراً أو كفوراً، مطيعاً أو عاصياً، مؤمناً أو كافراً تصديقاً لقوله تعالى :
هَلْ أَتَى عَلَى الإنسان حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً *إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (الإنسان:3:1).
فانظر إلى اللطف والكرم ثم إلى القدرة والحكمة، تبهرك عجائب الحضرة الربانية.
والعجب كل العجب ممن يرى خطاً حسناً أو نقشاً حسناً على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه إلى التفكر في النقاش و الخطاط، وأنه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه، ولا يزال يستعظمه في نفسه ويقول : ما أحذقه وأكمل صنعته وأحسن قدرته ثم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره، ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته !!.